البلاغة النبوية

دراسة تطبيقية

د. محمد عبد الحليم غنيم

© حقوق النشر الإلكتروني محفوظة ل
www.nashiri.net
© حقوق الملكية الفكرية محفوظة للكاتب

نشر إلكترونيا في ديسمبر 2003

المحتويات

مقدمة
1- الكناية في كلام الرسول (ص)
2- المجاز المرسل في كلام الرسول (ص)
3- التشبيه في كلام الرسول (ص)
4- بلاغة الاستعارة في كلام رسول الله (ص)
5- بلاغة الرسول (ص) : الإبهام والتفسير
6- بلاغة الرسول (ص): الإيجاز
7- من بلاغة الرسول (ص) التأكيد
8 -السجع في كلام رسول الله (ص)
9- بلاغة الجناس في كلام الرسول (ص)
10- الإطناب من بلاغة الرسول (ص) .
11- الطباق والمقابلة في كلام الرسول (ص) .
12- من بلاغة الرسول (ص) اللف والنشر
13- من بلاغة الرسول (الجمع)
14- من بلاغة الرسول (الارصاد)
15- رد العجز على الصدر
16- أمثال الرسول (ص)
17- الخطبة في البيان المحمدي
18- الموعظة في كلام الرسول
19- أدب الدعاء في البيان المحمدي
20- الوصية في البيان المحمدي
21- تذوق الشعر واستنشاده

السيرة الذاتية للكاتب

مقدمة:

كان رسول الله (ص) رأس الفصاحة ومجمع البلاغة ، وذروة البيان ، ألا وهو القائل "أنا افصح العرب بيد أنى من قريش " وهو القائل أيضاً "أنا أفصح من نطق الضاد". وقال (ص): "أوتيت خمساً لم يعطهن قبلي أحد :" كان كل نبي يبعث إلى قومه ، وبعثت إلى كل أحمر وأسود ، وأحلت لي الغنائم ، وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ، ونصرت بالرعب بين يدي مسيرة شهر ، وأوتيت جوامع الكلم ". وكلام النبي "ص" وإن كان نازلاً عن فصاحة القرآن وبلاغته ، فإنه في الطبقة العليا ، بحيث لا يدانيه كلام ولا يقاربه من كلام البشر ، ونورد له (ص) ثلاثة نماذج مختلفة تعد شاملة لضروب البلاغة ،

-الأول فى المواعظ والخطب قال (ص)

"لا تكونوا ممن إختدعتهم العاجلة ، وغرته الأمنية واستهوته الخدعة وركن إلى دار سريعة الزوال ،وشيكة الانتقال ، إنه لم يبق من دنياكم هذه في جنب ما مضى إلا كإناخة الراكب أو صر حالب ، فعلام تفرحون ، وماذا تنتظرون ، فكأنكم بما أصبحتم فيه من الدنيا لم يكن ، وبما تصيرون إليه من الآخرة لم يزل ، فخذوا الأهبة لأزوف النقلة ، وأعدوا الزاد لقربة الرحلة ، واعلموا أن كل امرئ على ما قدم قادم ، وعلي ما خلف نادم ."

الثانى : فيما يتعلق بالحكم والآداب قال (ص)

"من عرف نفسه عرف ربة " -"ما هلك أمرؤ عرف قدرة " . "رب حامل فقه غير فقيه ورب مبلغ أوعي من سامع ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه". المعدة بيت الداء ، والحمية رأس الدواء ، وعود كل جسم ما اعتاد ". "الطمع فقر واليأس غناء ". "إنه من خاف البيات أدلج ومن أدلج في المسير وصل ". كرم الكتاب ختمه .

-رأس العقل بعد الإيمان بالله مدارة الناس .

- من سعادة المرء أن يكون له وزير صالح .
- من سود علينا فقد أشرك في دمائنا ز
- المؤمن أخو المؤمن يسعها الماء والشجر ، ويتعاونان على الفتان .
- الجار قبل الدار ، والرفيق قبل الطريق .
-

الثالث فى الأدعية والتضرعات :

قال (ص) اللهم باعد بيني وبين الخطايا كما باعدت بين المشرق والمغرب ونقنى من الذنوب كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس .

-ا للهم أنى أعوذ ب من الهم والحزن ، وأعوذ بك من العجز والكسل وأعوذ بك من الجبن والبخل ، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال ، ومن فتنة المحيا والممات ومن فتنة المسيح الدجال .

- اللهم أشكو إليك ضعف قوتي وقلة حيلتي وهواني على الناس ، يا أرحم الراحمين أنت رب المستضعفين وأنت ربى ، إلى من تكلني ن إلى بعيد يتجهمنى أو إلى عدو ملكته أمري ، فإن لم
- يكن بك غضب على فلا أبالي

فالناظر في هذه الأمثلة الثلاثة يجد مختلف ضروب البلاغة
من بديع وبيان ومعاني ، وسنفصل فيما يأتي من مقالات هذه الضروب والأنواع البلاغية المختلفة في كلام سيد البشر (ص).

1- الكناية في كلام الرسول (ص)

يقول يحيى بن حمزة العلوي صاحب كتاب الطراز "أعلم أن الكناية واد من أودية البلاغة وركن من أركان المجاز ، وتختص بدقة وغموض " والكناية مصدر كنى يكنى ، وفى اللغة ما يتكلم به الإنسان ويريد به غيره ، يقال أكنيت الشيء إذا سترته ، وإنما أجرى هذا الاسم على هذا النوع من الكلام ، لأنه يستر معنى ويظهر غيره . وليس هنا مجال لعرض اختلافات البلاغيين حول تعريف الكناية وكونها حقيقة أم مجازاً ، فهي في أدق تعريف وأوضحه "لفظ أطلق وأريد به لازم معناه ، مع جواز إرادة ذلك المعنى ، وهو قول إمام البلاغيين في العصر الحديث الشاعر على الجارم ، والكناية تختلف عن التعريض حيث أنها أكثر وضوحا من التعريض الذي هو أدق وأخفى ولا يكون إلا في تركيب لغوى على حين تكون الكناية في اللفظ المفرد أو التركيب اللغوي ".

وقد قسم البلاغيون الكناية ثلاثة أقسام طبقا للمعنى المقصود:

فالأول كناية عن صفة

إذا كان المكنى عنه فكرة أو شئ غير محسوس ، مثل قولهم "كثير الرماد " كناية عن صفة الكرم

والثانى كناية عن موصوف

إذا كان المكنى عنه شيئاً محسوساً أو ملموساً أو شخصاً ، كقوله تعالى "وحملناه على ذات ألواح ودسر"

والثالث كناية عن نسبة

أي نسبة الصفة إلى شئ متعلق بالموصوف في التركيب اللغوي ،وهذا النوع من الكناية لا يأتي إلا مركبا ، مثل قول الشاعر :

إن السماحة والمروءة والندى   في قبة ضربت على أبن الحشرج

فقد نسبت الصفات ، السماحة والمروءة والندى إلى القبة التي تخص الممدوح وليس إلى الممدوح نفسه ، ولم يرد القسم الأخير في كلام النبي (ص) إلا على نحو قليل وإنما ورد القسمان الأول والثاني بكثرة في كلامه(ص) وخاصة الثاني .

فمن القسم الأول

قوله (ص): "ياعدى إنك لعريض الو ساد " وهو كناية عن بله الإنسان : وقلة فطانته ، وذلك أنه ورد في الحديث عن النبي (ص) أنه لما نزل قوله تعالى "وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود ": (البقرة - 187)، جعل عدى بن حاتم خيطين في يده أحدهما أسود والآخر أبيض علامة للفجر فحكى ذلك لرسول الله (ص) وأخبره بما فعل ، فقال الرسول (ص) قوله المذكور ، ومن ذلك أيضاً قوله (ص) "من شق عصا المسلمين فقد خلع ربقة الإسلام " فهذا القول كناية عن مخالفة الجماعة .

أما القسم الثاني
وهو الكناية عن موصوف فهو كثير في كلام النبي (ص) ، مثل قوله (ص) لأنجشة "يا انجشة رفقاً بالقوارير ". فكنى بالقوارير عن النساء ، وهى كناية لطيفة ودقيقة تدل على رهافة ذوق النبي (ص) في التعبير عن المرأة وحال ضعفها . ومنه أيضا قول الرسول (ص) حين رأى أهل مكة يتقدمون يريدون لقاءه للحرب "هذه مكة قد ألقت إليكم بأفلاذ كبدها يريدون أن يحادوا الله ورسوله ". فكنى الرسول (ص) بقوله أفلاذ كبدها عن الرؤساء الأكابر لأن الكبد من أهم أعضاء جسم الإنسان وأعزها فكنى بها عنهم . ومن الكناية اللطيفة التي تؤكد بلاغة الرسول (ص) وتعبيره الدقيق عما يتحرج ذكره ما ورد عنه (ص) أنه قال "كانت امرأة ممن كان قبلنا وكان لها ابن عم يحبها فراودها عن نفسها فامتنعت منه ، فأصابتها سنة مجدبة فجاءت إليه تسأله فراودها فمكنته من نفسها ، فلما قعد منه مقعد الخائن قالت "اتق الله ولا تفضض الخاتم إلا بحقه ، فقام وتركها " فقد كنى بالخاتم عن بكارتها وأنها بمنزله الشيء المختوم الذي لم ينكسر ختمه .

ومن القسم الأخير
قوله (ص):"الخيل معقود بنواصيها الخير"

2- المجاز المرسل في كلام الرسول (ص)

المجاز على وزن مفعل ، واشتقاقه إما من الجواز الذى هو التعدي فى قولهم: جزت موضع كذا، إذا تعديته أو من الجواز الذى هو نقيض الوجوب والامتناع، وهو فى التحقيق راجع إلى الأول .

أما فى اصطلاح البلاغيين ودون خوض فى خلافهم حوله فهو استخدام اللفظ فى غير ما وضع له لعلاقة بين الأول والثاني ، فإذا كانت العلاقة المشابهة خرج المجاز إلى الاستعارة وإن تكن غير المشابهة سمى المجاز مجازا لغويا ، وهو ما نقصده هنا فى كلام الرسول (ص) .

يقول ابن حمزة العلوي : اعلم أن المجاز واسع الخطو فى الكلام كثير الدور فيه وليس يخلو حاله ، إما أن يكون واردا فى مفردات الألفاظ أو فى مركباتها أو يكون واردا فيها جميعا (الطراز صـ35).

فالأول ما اصطلح عليه عند البلاغيين باسم المجاز المرسل ، حيث تكون العلاقة بين المعنى الأصلي والمعنى المقصود مطلقة أو مرسلة ، مثل قوله تعالى "يد الله فوق أيديهم " (الفتح 10) فالمجاز هنا فى كلمة يد فهي مجاز لغوى أو مرسل علاقته السببية لأن المعنى المقصود هو القدرة ، فالعلاقة بين اليد والقدرة هي السببية . والثاني هو ما اصطلح عليه عند البلاغيين بالمجاز العقلي ، فالمجاز فى التركيب أو الإسناد وليس في اللفظ ، مثل قوله تعالى "وأخرجت الأرض أثقالها" فأسند الإخراج إلى الأرض على سبيل المجاز . أما النوع الثالث فمثل قول القائل "أحياني اكتحالي بطلعتك"

والمجاز على الصورة التى نريده يخرج عن الاستعارة والكناية والتشبيه عند بعض البلاغيين وإنما القصد من المجاز هنا ذلك اللفظ المستعمل فى غير معناه الأصلي لعلاقة غير المشابه أو إسناد الفعل إلي غير فاعله أو مفعوله .

ومن أمثلة المجاز فى كلام سيد البشر قوله (ص) : "حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات " فالمجاز فى كلمتي "المكاره، والشهوات " فقد عنى بالمكاره هنا الطاعات وعنى بالشهوات المعصية لعلاقة السببية .

ومنه قوله (ص) "لا يدخل الجنة لحم نبت من سحت " فهذا مجاز ، لأن المقصود باللحم الإنسان فذكر الجزء وأراد الكل .
ومن المجاز أيضا قوله (ص) "أمرت بقرية تأكل القرى ، تنفى الخبث ، كما ينفى الكير خبث الحديد " فالمجاز فى قوله "قرية تأكل القرى " إذ المراد أهلها يقهرون أهل القرى فيملكون بلادهم ويقتسمون أموالهم ، فذكر المكان "القرية والقرى " وأراد الحال به وهم البشر .
ومن المجاز قوله (ص) إلى جبل أحد منصرفه من غزوة خيبر : "هذا جبل يحبنا ونحبه " فهذا القول محمول عن المجاز ، فذكر المكان أو الموضع وأراد الحالين به وهم أهل المدينة من الأنصار .
ومن أرقى المجازات قول النبي (ص) : "اليد العليا خير من اليد السفلي " أراد النبي باليد العليا يد المعطى وباليد السفلي يد المستعطي ، وفى الحقيقة ليست هناك يد عالية ويد سافلة ، وإنما المراد أن المعطى أعلي رتبة من الآخر فى مجال الرفد ، فذكر الجزء وهو اليد وأراد الكل وهو الإنسان فهذا مجاز علاقته الجزئية .

3- التشبيه في كلام الرسول (ص)

يعد البلاغيون التشبيه أقل درجة فى مراتب البلاغة من الاستعارة ، على أنهم فى الوقت ذاته يؤكدون أن التشبيه أصل الاستعارة ، فحد الاستعارة تشبيه حذف أحد طرفيه ، أما حد التشبيه فهو اشتراك الشيئين فى صفة أو أكثر بواسطة أداة ظاهرة أو خفية ، وهو قائم على طرفين أساسيين المشبه والمشبه به وطرفين ثانويين هما أداة التشبيه ووجه الشبه ، وقد قسموا التشبيه أنواعا وفروعا يصعب حصرها فى هذا المقام بناء على حذف الطرفين الثانويين أو أحدهما وكذلك بناء على نوع المشبه والمشبه به ، ونحن هنا ذاكرون أمثلة من كلام سيد البشر تتجلى فيها بلاغة التشبيه ومختلف فنونه من تشبيه تام أو بليغ أو تمثيلي أو ضمني وغيرها ، فمن التشبيه التام الذى تذكر فيه أركان التشبيه الأربعة ، قوله (ص) "المؤمن كالسنبلة تعوج أحيانا وتقوم أخرى " فقد شبه المؤمن بالسنبلة ووجه الشبه الاعوجاج والاستقامة والمعنى أن المؤمن فى تصرفه لا يخلو عن أن يكون مستقيما على الدين فذلك حال الاستقامة أو يكون مقارفا للذنب ، فتلك حال الاعوجاج .
وقال (ص) "مثل أصحابي كمثل الملح فى الطعام ، لا يصلح الطعام إلا بالملح " ففي هذا التشبيه يشبه النبي (ص) الصحابة بالملح للطعام ، والمعنى أن حاجة الناس للصحابة مثل حاجة الطعام للملح ، فهذه صورة عقلية على حد قول عبد القاهر الجرجانى ، وقال النبي (ص) "كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل " فالتشبيه هنا واضح بسيط لا يحتاج إلى إعمال العقل ، على العكس من التشبيه السابق ، لأن الهدف هنا الإبانة والوضوح .
ومن التشبيه التمثيلي قوله (ص)"مثل الرجل الذى لا يتم صلاته كمثل الحامل حملت حتى إذا دنا نفاسها ، أملصت فلا ذات حمل ولا ذات ولد " فحال المؤمن الذى لا يتم صلاته مثل حال المرأة الحامل التى لا تكمل حملها فلا هي حامل ولا هي والدة .

ومن التشبيه البليغ للذي يجمع بين البيان والإيجاز والطرافة ودقة الصورة ، قولة (ص)"العزل هو الوأد الخفى " والوأد هو ما كانت العرب تفعله من دفن البنات وهن أحياء خوفا من العار ن وعلى بشاعة الوأد ، شبه النبي (ص) العزل به ، دون فاصل بين المشبه والمشبه به ، بل جاء بضمير فصل ليؤكد هذه العلاقة بينهما ، فجعل العزل كالوأد بل هو الوأد .

وفيما يلي أمثلة من تشبيهات النبي (ص)
نختم بها وهى من الوضوح والبيان بحيث لا تحتاج منا إلى شرح أو تعليق :

1- "الحياء من الإيمان كالرأس من الجسد".
2- "الناس كأسنان المشط فى الاستواء ".
3- "مثل المنافق كمثل الشاة العائرة بين الغنمين .
4- "إن من فى الدنيا ضيف وما فى يده عارية ، والضيف مرتحل والعارية مردودة ".
5- "الدنيا دار التواء لا دار انتواء ومنزل ترح لا منزل فرح ".
6- "ما سكن حب الدنيا قلب عبد إلا التاط منها بثلاث ، شغل لا ينفك عناؤه ، وفقر لا يدرك غناه ، وأمل لا ينال ".

4- بلاغة الاستعارة في كلام رسول الله (ص)

.

يعد ابن رشيق الاستعارة أفضل المجاز وأول أبواب البديع ، وليس فى حلى الشعر أعجب منها ، وهى من محاسن الكلام إذا وقعت موقعها ونزلت موضعها .

والاستعارة في اصطلاح البلاغيين استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة المشابهة بين المعنى المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه ، مع قرينة صارفة عن إرادة المعنى الأصلي ،ثم يردون الاستعارة إلى التشبيه ، فيقولون الاستعارة تشبيه حذف أحد طرفيه مع وجه الشبه

فقولنا رأيت أسداً يقاتل الأعداء ، أصلها رأيت رجلاً كالأسد يقاتل الأعداء في شجاعة . وقد استقر بين البلاغيين تقسيم الاستعارة إلى ثلاثة أنواع : تصريحية ومكنية وتمثيلية ، وهناك من يجعل التمثيلية فرعاً من التصريحية ، فالتصريحية هي ما صرح فيه بلفظ المشبه به، مثل قوله تعالى "الر ، كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور " (إبراهيم 1) فالاستعارة في الظلمات والنور ، حيث استعار الظلمات للكفر والضلال ، واستعارة النور للإيمان والهداية .

أما الاستعارة المكنية فهي ما حذف فيها المشبه به ، ورمز له بشيء من لوازمه مثل قوله تعالى "ربى إني وهن العظم منى واشتعل الرأس شيباً ".(مريم : 4) .

والاستعارة كثيرة الورود فى كلام رسول الله (ص) ، وقد جاءت فى كل في أعلى مراتب البلاغة ، لطيفة دقيقة ، وفيما يلي أمثلة منها :

1- قال (ص) "أكثروا من ذكر هازم اللذات فإنكم إن ذكرتموه فى ضيق وسعه عليكم ".

فقد استعار النبي (ص) هازم اللذات للموت ، وهى استعارة لا تقف عند حد المشابهة بين هازم اللذات والموت ، ولكن تتعداها إلى التشخيص الذى يقرب المعنى ويجسده ، فالموت يتجسد أمامنا فى شخص يهزم اللذة ويقضى عليها .

2- قال (ص) "لا تستضيئوا بنار المشركين " فاستعار النار للرأي والمشورة والمعنى لا تهتدوا بآراء المشركين ، ولا تتكلوا على أقوالهم لما فيها من الخديعة والمكر والغرر.

3 - قال (ص) "إن الغضب ليوقد فى فؤاد ابن آدم ، ألا تراه إذا غضب كيف تحمر عيناه وتنتفخ أوداجه ، فاستعار الو قيد لاشتداد الغضب .

4-وقال (ص) "ما ذئبان ضاريان فى زريبة أحدكم بأسرع من الحسد فى حسنات المؤمن " فاستعار الذئبين فى إفساد الغنم بضراوتهما لما يحصل فى عقوبة الحسد فى إحباط الحسنات المستحقة على الأعمال الصالحة يريد أن إسراع الحسد فى الإحباط بمنزلة إسراع هذين الذئبين فى إهلاك الغنم وقتلها .

5-وقال (ص) "قيدوا القرآن بالدرس فإن له أوابد كأوابد الوحش "، فاستعار ذكر الأوابد وهى الحيوانات الوحشية لما فيها من النفار وشدة الشرور لذهاب هذه المحفوظات عن القلب إذا لم تكن راسخة فيه بشدة الدرس لها ..

7- وقال (ص) "من خالف الجماعة فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه " والربقة حبل يربط بين عودين ، ثم تجعل فيه عرى فتربق فيه السخال أي تربط فيه ، ففي هذه الاستعارة شبه ما فى عنق الإنسان من لوازم ومعاقد الإسلام ، ومعاقد الإيمان ، بالربقة التي في عنق السخل ، لأنها تصده إذا هم بالشرود ، وكذلك الإسلام يمنع صاحبه من الارتكاس فى المحظورات .

والاستعارات فى كلام النبي (ص) كثيرة ومتنوعة ، فيها العجيب والمدهش من مختلف فنون الاستعارة وقد ألف فيها الشريف الرضى كتابا كاملاً أسماه المجازات النبوية .

5- بلاغة الرسول (ص) : الإبهام والتفسير

فيما سبق تحدثنا عن بلاغة النبي (ص) من خلال علم البيان حيث التعبير عن المعنى الواحد بصورة تعبيرية مختلفة كالتشبيه والاستعارة والمجاز والكناية كما أوضحنا من خلال ذكر أمثلة لبلاغة النبي عبر هذه الصور البيانية ، والآن نتوقف عند بلاغة النبي (ص) من خلال التركيب اللغوي ، وهو ما يطلق عليه عند البلاغيين علم المعاني وقد حدده بقولهم : علم المعاني أصول وقواعد يعرف بها أحوال الكلام العربي التي يكون بها مطابقا لمقتضى الحال بحيث يكون وفق الغرض الذي سيق له . وبمعنى آخر علم يبحث في أحوال اللفظ والجملة وما يطرأ لهما من تغيير حسب السياق .

ويحصر البلاغيون موضوعات علم المعاني في ثمانية أبواب :

1- أحوال الإسناد الخبري 2- أحوال المسند إليه 3- أحوال المسند 4- أحوال متعلقات الفعل 5- القصر 6- الإنشاء 7- الفصل والوصل 8- الإيجاز والإطناب والمساواة .

وعلم المعاني في رأينا يختص بالتركيب اللغوي باحثا في التغيرات التي تعترى هذا التركيب لغرض بلاغى كالتقديم والتأخير أو الحذف أو الإطناب وغيرها من الأحوال التي تمثل في مجملها موضوعات هذا العلم . كما أننا نريد أن نؤكد أن علوم البلاغة الثلاثة : البيان والمعاني والبديع شديدة الارتباط ببعضها البعض ، بحيث أنها في النهاية توصلنا إلى الكلام البليغ الذي يؤثر القلب ويخلب النفس ويوصل المعنى المراد إلى المستمع أو القارئ ، وفيما يلي نذكر أنواعا مختلفة من بلاغة التركيب في كلام سيد الرسل (ص) .

بلاغة الإبهام والتفسير

يقول الإمام يحيى ابن حمزة في كتابه الطراز : اعلم أن المعنى المقصود إذا ورد في الكلام مبهما فإنه يفيد بلاغة ويكسبه إعجابا وفخامة ، وذلك لأنه إذا قرع السمع على جهة الإبهام فإن السامع له يذهب في إبهامه كل مذهب ، غير أن الإبهام المقصود ليس بمعنى الغموض ، فإن يحيى بن حمزة يقصد ذلك الإبهام الذي يليه ما يفسره ، وهو ما يعد عند علماء البلاغة المتأخرين نوعا من أنواع الإطناب في الكلام حيث يعبر عن المعنى المحدود بألفاظ كثيرة .

ونرى نحن أن بلاغة الإبهام في كلام الله عز وجل ومن بعده الرسول (ص) تعد من أعلى مراتب البلاغة ، لأنه تركيب بلاغي يخاطب العقل ، حيث ينظم المعنى بشكل كلى ثم يفسر بعد ذلك ، فكأنه يذكر المعنى مرتين ، مرة بشكل مجمل ومرة بشكل مفصل ، مثال ذلك قوله تعالى "وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين " الحجر (15). فهذا الأمر المبهم فسره ما جاءه بعده من كلام .

ومن الأمثلة الواردة في حديث رسول الله (ص) قوله :

1- "عش ما شئت فإنك ميت ، وأحبب ما أحببت فإنك مفارق ، أعمل ما شئت فإنك ملاقيه ".
2- "أحببت حبيبك هونا ما عسى أن يكون بغيضك يوما ما وأبغض بغيضك هونا ما عسى أن يكون حبيبك يوما ما ".
3- "خذوا العطاء ما كان عطاء ، فإذا تجافت قريش ملكها فاتركوه ".
4- "ألا أنبئكم بأمرين خفيفة مؤنتهما ، عظيم أجرهما ، لن يقى الله بمثلهما ، الصمت وحسن الخلق".
5- "ألا أدلكم على ما إذا فعلتموه تحاببتم ، قالوا نعم ، قال أفشوا السلام ".
6- "ألا أدلكم على أخسر الناس صفقة قالوا نعم ، قال من باع آخر ته بدنياه ".
7- "إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث : صدقة جارية ، أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له ".

6- بلاغة الرسول (ص): الإيجاز

الإيجاز نظير البلاغة أو هو البلاغة عند متقد مي البلاغيين ومعناه اندراج المعاني المتكاثرة تحت اللفظ القليل وأصدق مثال له ، قوله تعالى " فاصدع بما تؤمر " (الحجر - 94) ، فهاتان الكلمتان جمعتا معاني الرسالة كلها واشتملت على كليات النبوة وأجزائها . ولعل الإيجاز أبرز خصائص البلاغة النبوية ، وهو المراد بقوله(ص):" أوتيت جوامع الكلم" فالكلم جمع كلمة والجوامع جمع جامعة والمقصود أنه صلى الله علية وسلم مكن من الألفاظ المختصرة التي تدل على المعاني الغزيرة . وإذا ما فكرنا وتأملنا في كلامة (ص) وجدنا معظمه جاريا هذا المجرى

والإيجاز عند البلاغيين قسمان ، الأول إيجاز بالحذف ، والأخر بدون حذف، في الأول تحذف كلمة أو جملة ، وفى الثاني لا يحذف شئ وذلك دون إخلال بالمعنى وإلا خرج من دائرة البلاغة وأصبح ابتسارا والإيجاز بقسميه موجود بكثرة في كلام الرسول (ص) .

ومن إيجاز الحذف ما جاء في حديث جابر رضى الله عنة لما سأله النبي (ص) هل تزوجت ، فقال نعم ، فقال : بكرا أم ثيبا فقال : بل ثيب ، فقال هلا بكرا تلاعبها وتلاعبك ، حذف للفعل ، والتقدير : هلا تزوجت بكرا ...

أما الإيجاز بدون حذف وهو الذى يطلق عليه البلاغيون إيجاز القصر ، فهو الغالب على بلاغة الرسول (ص) في هذا الصدد ، والأمثلة فيه يصعب حصرها ، فمنها قوله (ص) : "الخراج بالضمان " وتفسيره أن رجل اشتري من غيره عبدا فأقام عند ه مدة ثم وجد به عيبا ، فخاصمه إلى الرسول(ص) ، فقال يا رسول الله إني أستغل عبدي فقال " الخراج بالضان" ومعنى هذا أن غلته تكون للمشترى لأنه لو تلف قبل الرد كان تالفا من ضمانه فلهذا كان ضمانه عليه، ومنه أيضا قوله (ص) " لا ضرر ولا ضرار في الإسلام " وكذلك قوله (ص) المعدة بيت الداء والحمية رأس الدواء ، وعود كل جسم ما اعتاد " وأيضا قوله (ص) الطمع فقر واليأس غناء "

وقد سمى الإمام يحيى بن حمزة العلوي ما اصطلح عليه عند البلاغيين بالمساواة إيجازا وأطلق عليه إيجاز التقرير ، ونحن نوافقه على ذلك ، حيث تتمثل بلاغة الإيجاز في عدم زيادة اللفظ وذكر من أمثلته قوله (ص): :

1-" الحلال بين والحرام بين وبين ذلك مشتبهات "

2-"دع ما يريبك إلى ما يريبك "

3-" إنما الأعمال بالنيات ولكل إمرىء ما نوى"

7- من بلاغة الرسول (ص) التأكيد

يقول يحيى بن حمزة العلوي في كتابه الطراز " اعلم أن التأكيد تمكين الشيء في نفسي وتقوية أمره ، وفائدته إزالة الشكوك وإماطة الأذى عما أنت بصدده وهو دقيق المأخذ ، كثير الفوائد" والتأكيد المقصود هنا غير التأكيد في أبواب النحو الذي ينقسم إلى لفظي ومعنوي ، وإنما التأكيد هنا بمعنى التكرير أو التكرار ، فهو يأتي لأهداف ومقاصد بلاغية توسع المعنى وتعمق دلالة الألفاظ وقد جعل البلاغيون التأكيد على قسمين :(1)التأكيد في اللفظ والمعنى معا، و (1)التأكيد في المعنى دون اللفظ ، وقد ورد التأكيد بقسميه في القرآن الكريم ، كما ورد في كلام رسول الله (ص) ،فمثاله في القرآن الكريم قوله تعالى " فبأي آلاء ربكما تكذبان " (الرحمن - 25) فهذا تكريرمن جهة اللفظ والمعنى ، ووجه ذلك أن الله إنما أوردها في خطاب الجن والإنس ، فكل نعمة يذكرها أو ما يؤول إلى النعمة فإنه يردفها بقوله "فبأي آلاء ربكما تكذبان " تقريرا للنعم وإعظاما لحالها وغير ذلك كثير في آيات القرآن الكريم . أما فى حديث رسول الله (ص) وهو المقصد هنا فقد ورد التكرير بصور متنوعة ، فمنه ما ورد في السنة من وصف النبي (ص) يوسف عليه السلام بقوله " الكريم بن الكريم بن الكريم بن الكريم " يعنى أنه نبي بن نبي بن نبي بن نبي ، فقد تتوسخ في الأصلاب الشريفة إلى الأرحام الطاهرة ، فهذا تكرير بالغ دال على نهاية الشرف وإعظام المنزلة ورفع التربية عند الله تعالى .

فيما يلي أمثلة أخرى للتكرير أو التأكيد في حديث رسول الله (ص) نوردها دون تعليق لوضوحها وقوة بيانها :

1-"الصرعة كل الصرعة، الصرعة كل الصرعة ، الصرعة كل الصرعة ، الذى يغضب فيشتد غضبه ويحمر وجهة ويقشعر جلدة فيصرع غضبه"

2-"ألا أدلكم على ما يمحو به الخطايا ويرفع به الدرجات ؟ قالوا بلا يا رسول الله ، قال " إسباغ الوضوء على المكاره ، وكثرة الخطى إلى المساجد ، وانتظار الصلاة بعد الصلاة ، فذلكم الرباط فذلكم الرباط "

3-"يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفى قلبه وزن شعيرة من خير و يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفى قلبه وزن برة من خير و يخرج من النار من قال لا إله إلا الله وفى قلبه وزن ذرة من خير "

4-" من كان يؤمن بالله واليوم الأخر فليكرم ضيفه ،و من كان يؤمن بالله واليوم الأخر فليصل رحمه ، و من كان يؤمن بالله واليوم الأخر فليقل خيراً أو ليصت "

وفى كل ما سبق تكرر اللفظ والمعنى فهو من القسم الأول ، أما القسم الثاني من التكرير فهو الذى يتكرر فيه المعنى دون اللفظ ومثاله قول النبي (ص)

-" الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة : الأجر والمغنم " فلفظا الأجر والمغنم ، يفسران لفظ الخير من ناحية ، ويعدان توكيدا له من ناحية أخرى

8 -السجع في كلام رسول الله (ص)

يختص السجع بالنثر دون الشعر ، مثلما يختص التصريع بالشعر وقد عرفه القدماء من البلاغيين ، فقال ابن الأثير : وحده أن يقال : تواطؤ الفواصل في الكلام المنثور على حرف واحد " وبعبارة أوضح نقول تشابه الأحرف الأخيرة في فواصل الجمل المتتابعة والفاصلة هي الكلمة الأخيرة في الجمل ، نحو قوله تعالى " والعصر ، إن الإنسان لفي خسر"

والأصل في اشتقاق السجع من قولهم سجعت الناقة إذا مدت حنينها على جهة واحدة ، ومنه سجع الحمامة إذا هدرت . وقد ورد السجع في كلام الله عز وجل وكلام الرسول (ص) والبلغاء من أهل العلم والأدب ، وقد نهى النبي (ص) عن سجع الكهان لما فيه من تكلف وإبهام للمعنى ، ولم ينه عن السجع فى حد ذاته ، وإلا ما كان ورد في حديثه (ص) .

وبلاغة السجع مبعثها الاعتدال والتوازن في الجمل والعبارات ، يقول يحيى بن حمزة العلوى في كتابه الطراز " اعلم أن المقصود بالتسجيع في الكلام إنما هو اعتدال مقاطعه وجريه على أسلوب متفق ، لأن الاعتدال مقصد من مقاصد العقلاء ، يميل إليه الطبع وتتشوق إليه النفس " (الطراز – 408) وقد قسم البلاغيون السجع أقساما وأشكالا مختلفة وجعلوا أعلاها ما كانت فواصله قصيرة ومتفقة مع الفواصل الأخرى في عدد الحروف أو الوزن ، وثانيها المعتدل ، وثالثها الطويل ويقبح السجع عندهم إذا طالت الفاصلة الأولى طولا مفرطا ،وقصرت الفاصلة الثانية قصرا مفرطا . على أية حال ورد السجع في كلام النبي (ص)عذب الإيقاع ، كريم المعنى ، ترتاح إليه النفوس ، وترق له الأسماع وتنشرح لمضامينه الصدور ، سواء جاء قصيرا أم معتدلا أم طويلا .

فمن النوع الأول :" السجع القصير " قوله (ص) عندما وصل المدينة ، وسمعه عبد الله بن سلام لأول مرة :

"أيها الناس ، أطعموا الطعام ، وأفشوا السلام ، وصلوا الأرحام ، وصلوا والناس نيام ، تدخلوا الجنة بسلام"

ومن النوع الثانى " السجع المعتدل " قوله (ص):

"واعلموا أنكم قليل راحلون وإلى الله صائرون ، فلا يغنى عنكم هناك إلا عمل صالح قد متموه ، أو حسن ثواب حزتموه ، إنكم إنما تقدمون على ما قدمتم وتجازون على ما أسلفتم ، فلا تخدعنكم زخارف دنيا دنيه ، عن مراتب جنان عليه .

ومن النوع الثالث " السجع الطويل " قوله (ص):

"ألا وإن من علامات العقل التجافي عن دار الغرور ، والإنابة إلى دار الخلود ، والتزود إلى لسكنى القبور ، والتأهب ليوم النشور " .

والواقع إن الأمثلة على السجع كثيرة جدا في كلام الرسول (ص) ، وفيما يلي طائفة منها :

- قولة (ص) للأنصار "إنكم تكثرون عند الفزع ، وتقلون عند الطمع " .
- قوله (ص) " تعوذوا بالله من جهد البلاء ، ودرك الشقاء وسوء القضاء وشماتة الأعداء ".
- قوله (ص) "الطهور شطر الإيمان ، والحمد لله تملا الميزان " .
- قولة (ص) لا تزال أمتي بخير ما لم ترى الفىء مغنما ، والصدقة مغرما ".

9- بلاغة الجناس في كلام الرسول (ص)

الجناس في أبسط تعاريفه أن يتشابه اللفظان في النطق ويختلفان في المعنى وهو نوعان ، تام وهو ما اتفق فيه اللفظان في أربعة أمور هي : نوع الحروف وشكلها وعددها وترتيبها ، نحو قوله تعالي "ويوم تقوم الساعة يقسم المجرمون ما لبثوا غير ساعة " وغير تام وهو ما اختلف فيه اللفظان في واحد من الأمور الأربعة المتقدمة في الجناس التام نحو قوله تعالى "فأما اليتيم فلا تقهر وأما السائل فلا تنهر ".

وهو أي الجناس عند ابن حمزة العلوى في كتابه الطراز "عظيم الموقع في البلاغة ، جليل القدر في الفصاحة ، ولولا ذلك لما أنزل الله كتابه المجيد على هذا الأسلوب واختاره له كغيره من سائر أساليب الفصاحة ".

وقد قسم أرباب البلاغة الجناس التام وغير التام أقساماً أخرى ، فوصلوا بالجناس إلى ما يزيد علي عشرة أنواع ، وليس هنا مجال الوقوف عندها وضرب الأمثلة لها ، ولكن الذي يعنينا الجناس في كلام الرسول (ص) ، وقد وجدنا أنه موجود في كلامه مثله مثل السجع والطباق وغيرهما من أساليب البلاغة ، وقد جاء الجناس دون تكلف فى كلامه، وربما جاء متداخلا مع أنواع أخرى للبديع كالطباق والمقابلة والسجع .

فمن الجناس التام قوله (ص) فيما يروى أن الصحابة نازعوا جرير بن عبد الله البجلى زمامه ، فقال رسول الله (ص) "خلوا بين جرير والجرير " أي دعوا زمامه .

ومن الجناس غير التام وقد جاء أكثر ورودا في كلام النبي (ص) مثل قوله (ص) "اللهم كما حسنت خلقي حسن خلقي" فالحروف في كلمتي خلقي وخلقي متساوية في تركيبها ولكنها مختلفة في الوزن أوالتشكيل

ومنه قوله (ص) "اسلم سالمها الله ، وغفار غفر الله لها ، وعصية عصت رسول الله ، ونجيب أجابت الله ورسوله ".

ومثله قوله (ص)"الظلم ظلمات يوم القيامة " "ولا يكون ذو الوجهين وجيها"و "المسلم من سلم الناس من لسانه ويده ".

وقد عد القزوينى هذا النوع من الجناس ملحقا بالجناس وأسماه جناس الاشتقاق ، ومن الجناس الناقص أيضاٍ قول النبي (ص) "الخيل معقود بنواصيها الخير " . فالخيل والخير جناس غير تام : فاللفظان اتفق في حرفين واختلفا في حرف واحد

ومنه قوله(ص) "رب تقبل توبتي واغسل حوبتى ".

والجناس في النهاية أحد المحسنات اللفظية التي تأتى لتحسين الكلام وتزيينه بعد استيفاء معناه .

10- الإطناب من بلاغة الرسول (ص) .

والإطناب في اصطلاح البلاغيين هو زيادة اللفظ عن المعنى لفائدة جديدة من غير ترديد ، وعليه لا يعد التطويل إطنابا ، وهو أي الإطناب إذا كان مقابلا للإيجاز فهو فى الأخير يهدف مثل الإيجاز إلى البلاغة ، فأصل الإطناب فى اللغة من أطنبت الريح إذا اشتد هبوبها ،و أطنب الرجل في سيره إذا اشتد به ، والإطناب الاشتداد فى المعاني .

يقول أبو الحسن الرماني "وأما الإطناب فإنما يكمن فى تفصيل المعنى وما يتعلق به فى المواضع المختلفة التى يحسن فيها ذكر التفصيل ، وأما التطويل فإنه عيب وعى ، لأنه تكلف الكثير فيما يكفى فيه القليل فكان كالسالك طريقا بعيدا جهلا منه بالطريق القريب ، وأما الإطناب فليس كذلك ، لأنه كمن سلك طريقا بعيدا لما فيه من النزهة الكثيرة والفوائد العظيمة . "

وعد الإمام يحيى بن حمزة العلوى الإطناب نوعا من البيان كثير المحاسن ، واسع الخطو ، لطائفه بديعة ، ومداخله دقيقة ، وقد ورد الإطناب فى القرآن الكريم ، كما ورد فى كلام الرسول (ص) .

فمن أمثلته فى كلام سيد البشر (ص):

1-قول النبي (ص) "من لذذ أخاه بما يشتهيه رفع الله له ألف ألف درجة وكتب له ألف ألف حسنة ، ومحا عنه ألف ألف سيئة ، وأطعمة من ثلاث جنان ، من جنة الفردوس ، ومن جنة الخلد ومن جنة عدن ".

2- وقوله (ص) "من سقى مؤمنا شربة سقاه الله من الرحيق المختوم . أو قال : من نهر الكوثر ، ومن كسا مؤمنا .كساه الله من سندس الجنة ومن أطعم مؤمنا لقمة أطعمه الله من طيبات الجنة وفواكهها ".

3-وقوله (ص) "لا يكمل إيمان العبد بالله حتى يكون فيه خمس خصال ، التوكل على الله والتفويض إلى الله ، والتسليم لأمر الله والرضا بقضاء الله ، والصبر على بلاء الله ، إنه من أحب لله ، وأبغض لله ، وأعطى لله ، ومنع لله فقد استكمل الإيمان ".

فقد ذكر الرسول (ص) خمس خصال جعلها أصلا فى كمال الإيمان ، ثم أردفها بما هو كالثمرة وهى الحب والبغض والعطاء والمنع لا يكون إلا لله .

4-وقوله (ص)"إن العبد لا يكتب فى المسلمين حتى تسلم الناس من لسانه ويده "ولا يعد من المؤمنين حتى يأمن أخوه بوائقه ، وجاره بوادره ، ولا ينال درجة المتقين حتى يدع مالا بأس به حذارا ما به البأس " فهذا الإطناب البليغ هو نفسه ترجمة لإيجاز بليغ ذكر من قبل للرسول (ص) وهو قوله "المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده " وقوله أيضاً "والله لا يؤمن والله لا يؤمن "قيل من يا رسول الله ؟ قال من لا يأمن جارة بوائقه ".

5- قوله (ص) : "يا بن أدم تؤتى كل يوم برزقك وأنت تحزن ، وينقص كل يوم من أجلك وأنت تفرح ما تعطى ما يكفيك وتطلب ما يطغيك ، لا من كثير تشبع ، ولا بقليل تقنع ".

لقد أعطى محمد (ص) جوامع الكلم ولا فرق فى ذلك بين إيجاز وإطناب .

11- الطباق والمقابلة في كلام الرسول (ص) .

المطابقة والطباق والتطبيق والتضاد بمعنى واحد ، وهى فى أصل الوضع اللغوي أن يضع البعير رجله موضع يده ، فإذا فعل ذلك قيل : طابق البعير .

وفى اصطلاح رجال البلاغة هي : الجمع بين الضدين أو بين الشيء وضده فى كلام أو بيت شعر ، مثل قول رسول الله (ص) "خير المال عين ساهرة لعين نائمة " فالطباق هنا بين ساهرة ونائمة ، ومعنى الحديث خير المال عين الماء ينام صاحبها وهى تظل فائضة تسقى . ويخلط بعض البلاغيين بين الطباق ومصطلح آخر قريب منه هو المقابلة غير أن جمهرة البلاغيين يفرق بينهما بصورة واضحة ، فالطباق يقف عند حد الكلمة وضدها ، أما المقابلة فحدها ما زاد عن الكلمة ومثله فى ذلك قوله تعالى "فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً " فالمقابلة هنا تحققت لوجود كلمتين ضد كلمتين .

وقد وردت المقابلة والطباق فى كلام رسول الله (ص) دون تكلف ، فتبدت بلاغتها فى إضفاء الرونق والبهجة فى أسلوب النبي (ص) من ناحية وفى جلو الأفكار ووضوحها من ناحية أخرى ، وكما قيل الضد يظهر حسنه الضد

ومن أمثله الطباق فى كلامه "ص" قوله :

1- فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ، ومن دنياه لآخرته ، ومن الشبيبة للكبر ومن الحياة للموت ، فوا الذى نفس محمد بيده ما بعد الحياة مستعتب ، وما بعد الدنيا دار إلا الجنة أو النار " فقد جاء النبي (ص) بالمعنى وضده أربع مرات هي على الترتيب : دنياه وآخرته – الشبيبة والكبر – الحياة والموت – الجنة والنار.

2- "أفضل الفضائل أن تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتصفح عمن شتمك " .

3- "آهل المعروف فى الدنيا أهل المعروف فى الآخرة ، وأهل المنكر فى الدنيا أهل المنكر فى الآخرة "

أما المقابلة ، فأكثر ورودا فى كلام رسول الله (ص) فقد كان يأتي بالمعنيين وما يقابلها وفيما يلي أمثلة للمقابلة فى كلام رسول الله (ص) ، وهى تفصح فى جميع الأحوال عن جماد الأسلوب ووضوح الأفكار وجودة السبك وتلاحم اللفظ والمعنى.

1-"الناس معادن كمعادن الذهب والفضة ، خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام ،إذا فقهوا ، والأرواح جنود مجندة ، فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف "

12- من بلاغة الرسول (ص) اللف والنشر

يعرف البلاغيون اللف والنشر أو الطي والنشر عند بعضهم بأنه ذكر متعدد على التفصيل أو الإجمال ، ثم ذكر ما لكل واحد من غير تعيين ثقة بأن السماع يرده إليه لعمله بذلك بالقرائن اللفظية والمعنوية .
ويرجع اشتقاق اللف والنشر إلى قولهم ، لف الثوب إذا جمعه ، ونشر الثياب إذا فرقها . ومثاله فى التنزيل قوله تعالى " ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله" (القصص:73)، فجمع بين الليل والنهار بواو العطف ، ثم أضاف بعد ذلك لكل واحد منهما ما يتعلق به ، فأضاف السكون لليل ، وأضاف ابتغاء الفضل أي السعي إلى الرزق للنهار، وليس هذا على وجه الإثبات والتأكيد ولكن يفهم من سياق الكلام ، و مثاله فى الشعر قول الشاعر و هو الشاب الظريف شمس الدين بن العفيف:

رأى جسدي والدمع والقلب والحشا فأضنى وأفنى واستمال وتيما

فذكر الجسد والدمع والقلب والحشا وأتبعهم بما يناسب كل واحد منهم فأضنى للجسد وأفنى للدمع واستمال للقلب، وتيما للحشا.
وما ذكرنا آنفا يعد القسم الأول أو النوع الأول من اللف والنشر عند البلاغيين وهو المشهور والمتكاثر فى النثر والنظم على السواء.
أما القسم الثاني من اللف والنشر ، فهو ما يذكر فيه اللف على سبيل الإجمال دون تفصيل ، ثم يأتي النشر بعد ذلك على اعتبار تفصيل المجمل ، ومثاله قوله تعالى: "وقالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى" (البقرة-111). فالضمير فى "قالوا" عائد على أهل الكتاب من اليهود والنصارى ، فذكر الفريقين على وجه الإجمال بالضمير العائد إليهما ، ثم ذكر ما لكل منهما ، أي قالت اليهود: لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً ، وقالت النصارى: لن يدخل الجنة إلا من كان نصارى. وهذا النوع أدق وألطف من النوع السابق.
أما اللف والنشر فى كلام رسول الله (ص) فمثل قوله:
"فإن المرء بين يومين: يوم قد مضى أحصى فيه عمله فختم عليه ، ويوم قد بقى لا يدرى لعله لا يصل إليه" . فقوله "بين يومين" يكون من اللف لاشتمالها على ما يكون ماضياً ومستقبلاً ونشرهما بعد ذلك بقوله: "يوم قد مضى أحصى فيه عمله" فهذا يتناول الماضى و"يوم قد بقى لا يدرى ما يفعل فيه" فهذا يتناول المستقبل ، وإن لم يكن ما سبق لفا ونشرا لقال: إن المرء بين يومين يوم قد مضى ويوم قد بقى .
ومثل قوله (ص) أيضاً: "إنما يؤتى الناس يوم القيامة من إحدى ثلاث: إما من شبهة فى الدين ارتكبوها ، أو شهوة للذة آثروها ، أو عصبية لحمية أعملوها ، فإذا لاحت لكم شبهة فأجلوها باليقين وإذا عرضت لكم شهوة فاقمعوها بالزهد ، وإذا عنت لكم عصبية فادرءوها بالعفو " فقد جمع فى الحديث بين ثلاثة أشياء الشبهة والشهوة والعصبية ثم أتى بما يليق بكل واحد منها ، فجعل اليقين للأولى والقمع بالزهد للثانية والدرء بالعفو للثالثة .

13- من بلاغة الرسول (الجمع)

يعرف البلاغيون الجمع بأنه "الجمع بين متعدد فى حكم واحد"، وبصيغة أخرى أن يجمع المتكلم بين شيئين فأكثر فى حكم واحد ، ومثاله الأشهر قوله تعالى فى محكم التنزيل "المال والبنون زينة الحياة الدنيا " (الكهف : 46) فقد جمع الله سبحانه وتعالى بين المال والبنون فى الزينة ، ومنه قولة تعالى "الشمس والقمر بحسبان ، والنجم والشجر يسجدان" (الرحمن :6) فجمع بين الشمس والقمر فى الحسبان أي الحساب الدقيق ، وجمع بين النجم والشجر فى السجود ، أى الانقياد لإرادة الله سبحانه وتعالى . ومنه أيضا قوله تعالى : "إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه" (المائدة: 92) ، فالرجس حكم شامل للخمر والميسر والأنصاب والأزلام .
ومثاله فى الشعر قول أبى العتاهية :

إن الشباب والفراغ والجده   مفسدة للمرء أى مفسده

فقد جمع الشباب والفراغ والجدة (كثرة المال) تحت حكم واحد هو المفسدة

أما فى السنة المحمدية ، فقد ورد الجمع فى كلام النبي (ص) أيضا ، نحو قوله (ص) .
- "من أعطى فشكر ، وابتلى فصبر ، وظلم فغفر ، ثم سكت ، فقالوا : يا رسول الله ما له ؟ قال أولئك لهم الأمن وهم مهتدون" فجمع الرسول الكريم (ص) بين الشاكر على العطاء والصابر على البلاء والغافر لمظلمة وقعت عليه تحت حكم واحد هو الأمن والهداية .
ومنه أيضاً قولة (ص) :
"وقد رأيتم الليل والنهار كيف يبليان كل جديد ويقربان كل بعيد ، ويأتيان بكل موعود"
فجمع بين الليل والنهار – ثم ذكر لهما ثلاثة أحكام متتابعة ، تعد حكما واحدا ، وهو قوله "يبليان كل جديد ويقربان كل بعيد ويأتيان بكل موعود" .

14- من بلاغة الرسول (الارصاد)

الإرصاد فى اصطلاح علماء البلاغة "هو أن يذكر قبل الفاصلة بين الفقرة أو القافية من البيت ما يدل عليها إذا عرف الروي . وبمعنى أخر أن يكون أول الكلام مرصدا لفهم آخره ويكون مشعرا به " ، فمتى قرع سمع الإنسان أول الكلام فإنه يفهم آخره ويسرى ذلك على المنثور والمنظوم . وقد ورد الإرصاد فى القرآن الكريم وفى الشعر وفى حديث رسول الله (ص) .
مثاله فى القرآن الكريم :قوله تعالى "وسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل الغروب " (ق- 39) فقوله تعالى "قبل طلوع الشمس" يجعلنا نتوقع أن بقية الكلام هو "وقبل الغروب" .
ومثله أيضا قوله تعالى "وما كان الله ليظلمهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون" (العنكبوت : 40) فقوله تعالى "وما كان الله ليظلمهم " مرصد لقوله تعالى بعد ذلك "أنفسهم يظلمون".
ومثال الارصاد فى الشعر : قول الشاعر :
إذا لم تستطع شيئا فدعه   وجاوزه إلى ما تستطيع

وقد يستغنى عن معرفة الروي نحو قوله تعالى "ولكل أمة أجل فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون " (الأعراف-34) .

أما أمثلته فى كلام سيد المرسلين، فمنه قوله (ص) :

1- " من خرج فى طلب العلم فهو فى سبيل الله حتى يرجع "
2- " نضر الله امرأ سمع منا شيئا فبلغه كما سمعه فرب مبلغ أوعى من سامع "
3- " ركعتان بالسواك ، أفضل من سبعين ركعة بغير سواك "
4- " المؤذن يغفر له مدى صوته ، ويشهد له كل رطب ويابس "
5- " الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من في الأرض يرحمكم من فى السماء "
6- " فما بعد الموت من مستعتب ، وما بعد الدنيا من دار إلا الجنة أو النار "
7- وقوله (ص) لما سار لفتح خيبر ، إذ أنه حين رآها قال " الله أكبر ضربت خيبر إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين "

فقوله (ص) "إذا نزلنا بساحة قوم " فيه وعيد بالبوار ، ومن ثم فهو مشعر بقوله " فساء صباح المنذرين "

15- رد العجز على الصدر

يعد البلاغيون رد العجز علي الصدر أحد أنوع البديع اللفظي ، وحده "هو أن يجعل أحد اللفظين المكررين أو المتجانسين أو الملحقين بها في أول الفقرة ، والآخر في آخرها ، نحو قوله تعالى "وتخشى الناي والله أحق أن تخشاه " (الأحزاب :37) وقولة تعالى "لا تفتروا على الله كذبا فيسحتكم بعذاب وقد خاب من افترى " (طه : 61) .

ومثله في الشعر :

سريع إلي ابن العم يلطم وجهه   وليس إلى داعي الندى بسريع
إذا المر لم يحزن عليه لسانه   فليس على شئ سواه بخزان

وفى كلام الفقهاء قولهم : الحيلة ترك الحيلة ، وقولهم القتل انفي للقتل "

وقد ورد هذا لنوع البديعي في كلام سيد المرسلين ، فجاء في مراتب البلاغة بعيدا عن التكلف ، ليس يهدف إلي الصنعة اللفظية ولكن يهدف إلي خدمة المعنى واستيفائه ، فكما قال مصطفى صادق الرافعي فى كتابه (إعجاز القرآن والبلاغة النبوية) فإن كلامه (ص) مبنى على ثلاثة دعائم : الخلوص والقصد والاستيفاء ، فمن أمثلة رد العجز على الصدر في كلام الرسول (ص)قوله :

"ذروا المراء فأنا زعيم بثلاث أبيات في الجنة في رباضها ووسطها وأعلاها ، لمن ترك المراء وهو صادق ، ذروا المراء فإن أول ما نهاني عنه ربى بعد عبادة الأوثان المراء".

وقوله (ص)

"الإيمان بضع وسبعون أو بضع وستون شعبة أفضلها قول : لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان"

وقوله (ص)

"يا عائشة ارفقي فإن الله إذا أراد بأهل بيت خيرا أدخل عليهم الرفق".

16- أمثال الرسول (ص)

إذا كنا في الحلقات السابقة قد وقفنا عند فنون البلاغة التقليدية في كلام سيدنا رسول الله (ص) ، فضربنا الأمثلة وشرحنا الغامض منها ، فإننا في هذه الحلقة وما يليها من حلقات نقف عند أنواع مختلفة من فنون القول وضروبه الأدبية البليغة ، ونبدأ بالمثل .
والأمثال كما قال ابن عبد ربه في العقد الفريد "وشي الكلام وجوهر اللفظ وحلي المعاني ، والتي تخيرتها العرب ، وقدمتها العجم ، ونطق بها كل زمان ، وعلى كل لسان ، فهي أبقى من الشعر وأشرف من الخطابة ، لم يسر شئ مسيرها ، ولا عم عمومها، حتى قيل أسير من مثل".

وقد ضرب الله تعالى الأمثال في كتابه العزيز ، وضربها رسول الله (ص) في كلامه ،وكذلك الحكماء والشعراء، ونحن واقفون بإذن الله عند أمثال رسول الله (ص) .
والمثل في اللغة الشيء الذي يضرب لشيء مثلا فيجعل مثله ، وفى الاصطلاح أحد فنون الشعر والنثر ، وهو قول وجيز يعبر عن تجربة يصلح أن يكون حكمة سائرة .

والأمثال كثيرة في كلام رسول الله (ص) ، ولن نبالغ إذ قلنا أن معظم عباراته (ص) الموجزة تصلح أن تكون مثلا ، فكثيرا من الأمثال التي يرددها الناس ترجع في أصلها إلى النبي (ص) مثل قوله"لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين" وقوله (ص) "إن من البيان لسحراً" وغيرها.

وفيما يلي نماذج متنوعة من أمثاله (ص) :

1-قال النبي (ص) "ضرب الله مثلا صراطا مستقيما وعلي جنبي الصراط أبوابا مفتحة ، وعلى الأبواب ستور مرخية ، وعلي رأس الصراط داع يقول : ادخلوا الصراط ولا تعوجا فالصراط الإسلام والسوران حدود الله والأبواب المفتحة محارم الله والداعي القرآن ".

2- قال النبي (ص) لأبى سفيان : أنت أبا سفيان كما قالوا "كل الصيد في جوف الفرا " ومعناه أنك في الرجال كالفرا في الصيد ، وهو الحمار الوحشي ، وقد قال له ذلك يتألفه على الإسلام.

3- قال النبي (ص) حين ذكر الغلو في العبادة :"إن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى"
والمعنى أن المغذ في السير إذا أفرط في الإغذاء عطبت راحلته قبل أن يبلغ حاجته أو يقضي سفره فشبة بذلك من أفرط في العبادة حتى يبقى حسيرا.

4-وقال النبي (ص) "الولد للفراش وللعاهر الحجر" معناه أنه لا حق له في نسب الولد .

5- وقال النبي (ص) "لا يلدغ المؤمن من جحر مرتين" معناه أن من لدغ مرة يحفظ من أخرى .

6-وقال النبي (ص) "الحرب خدعة" أي أن الحرب تكون بالمكر والخديعة .

7-ومن أمثاله أيضاً (ص) "إياكم و خضراء الدمن " . قالوا وما خضراء الدمن ؟ قال المرأة الحسناء في المنبت السوء "

وقوله (ص) في الربا:

8-"من لم يأكله أصابه غباره" .

وقولة (ص)

9- "جماعة على أقذاء ، وهدنة على دخن" .

17- الخطبة في البيان المحمدي

الخطبة فن نثرى قديم في الآداب العربية والعالمية ، وجدت له نماذج متميزة في الأدب الجاهلي ، وقد استمع النبي (ص) لنماذج من هذه الخطابة في سوق عكاظ ، ثم مارس بنفسه الخطابة ، ولا ريب في ذلك ولا عجب فهو أبلغ العرب وأفصح قريش ، تتتال المعاني الرفيعة من فمه الكريم انثيال السيل ، لا يدانيه في ذلك قائل ولا يباريه خطيب ، وقد كانت بلاغة الرسول (ص) وفصاحته وراثة واكتسابا .

والخطبة في أبسط تعريف وأوجزه هي الكلام الذي يلقى في جمهور الناس للإقناع والتأثير ، وتتكون غالبا من ثلاثة أجزاء : المقدمة والموضوع والخاتمة ، في المقدمة يمهد الخطيب لموضوع الخطبة ويهيئ السامعين لتقبله، وفى الموضوع وهو محور الخطبة ، تعالج المشكلة أو الفكرة التي يريد الخطيب أن يعالجها في أسلوب مقنع معتمدا على الأدلة والبراهين، وفى الخاتمة يلخص الخطيب الموضوع في عبارة موجزة مؤثرة .

والمتتبع لخطابة النبي (ص) يجدها قد تنوعت وتوزعت علي مختلف الموضوعات التي تتصل بشئون المسلمين ،فهناك خطبة الجمعة وخطبة العيد ، وخطبه الفتح ، وخطبة الحج ، وخطب أخرى في مواقف شتى .

وسيكون من الصعوبة الوقوف عند جميع أنواع هذه الخطب وموضوعاتها ولكننا سنقف عند مميزات خطبة النبي وبلاغتها مع ذكر نماذج قليلة منها .

يقول ابن قتيبة في " عيون الأخبار " تتبعت خطب النبي (ص) فوجدت أوائل أكثرها : الحمد لله ، نحمده و نستعينه ، ونؤمن به ونتوكل عليه ، ونستغفره ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا له إلا الله وحده لا شريك له " وخطب رسول الله (ص) في مجملها جزء من سنته الشريفة ، فموضوعاتها هي كل ما يتعلق بالإسلام نفسه وأولها الدعوة إلى الله، والوعظ ،غرس التقوى في النفوس والتذكير بمضي الأجل وبزوال الدنيا وذكر الفرائض والعبادات، حب الله والقرآن وحب الناس بعضهم بعضا وكل ما يهم شئون المسلمين تقريبا في دنياهم وآخرتهم ، وإذا جئنا إلى سمات خطبة النبي (ص) نجد براعة الاستهلال وصدق العاطفة ، وقوة الأسلوب ، وسهولة اللفظ ووضوحه وبعده عن الغموض والتعقيد .

وفيما يلي نموذجان من خطبه (ص) :

1-فمن خطبته في أول جمعة صلاها بالمدينة :

"الحمد لله ، أحمده وأستعينه ، وأستغفره وأستهديه ، وأؤمن به ولا أكفره ، وأعادى من يكفره ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق ، والنور والموعظة ، على فترة من الرسل ، وقلة من العلم وضلالة من الناس ، وانقطاع من الزمن ودنو من الساعة وقرب من الأجل ، من يطع الله ورسوله فقد رشد ، ومن يعصهما فقد غوى وفرط وضل ضلالا بعيدا ، أوصيكم بتقوى الله ، فإن خير ما أوصى به المسلم أن يحضه على الآخرة ، وأن يأمره بتقوى الله عز وجل ، فاحذروا ما حذركم الله من نفسه ، ولا أفضل من ذلك ذكرا" .

2- ومن خطبته في حجة الوداع :

وهى أطول خطبه وأكملها ، وقد احتفى بها المؤرخون والرواة ، فوصلتنا كاملة في السيرة النبوية لابن هشام وفى تاريخ الطبري ، نجتزىء منها الفقرة التالية :

"أما بعد أيها الناس ، فإن لكم على نسائكم حقا ولهن عليكم حقا ، لكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم أحدا تكرهونه ، وعليهن أن لا يأتين بفاحشة مبينة ، فإن فعلن فإن الله قد أذن لكم أن تهجروهن في المضاجع وتضربوهن ضربا غير مبرح فإن انتهين فلهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، واستوصوا بالنساء خيرا فإنهن عندكم عوان لا يمكن لأنفسهن شيئا ، وإنكم إنما أخذتموهن بأمانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمات الله ، فاعوا أيها الناس قولي بأني قد بلغت وقد تركت فيكم ما إن اعتصمتم به فلن تضلوا أبدا، أمرا بينا ، كتاب الله وسنة نبيه ".

18- الموعظة في كلام الرسول

الموعظة في اللغة من (وعظ) ، والوعظ والعظة والموعظة بمعني واحد وهي : النصح و التذكير بالعواقب، قال ابن سيدة : هو تذكيرك للإنسان بما يلين قلبه من ثواب وعقاب ، وهو قريب من قول الجرجاني في كتابه التعريفات ، حيث يقول ، الوعظ هو التذكير بالخير فيما يرق له القلب .

وأبلغ المواعظ كلها كلام الله تعالى الأعز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه قال تعالى "ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتى هي أحسن ، إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين " (النحل :125) ويلي كلام الله تعالى في المواعظ ، مواعظ رسول الله (ص) وقبل أن نورد أمثلة لمواعظ النبي (ص) نقول مع صاحب العقد الفريد : الموعظة ثقيلة على السمع محرجة على النفس ، بعيدة من القبول ، لاعتراضها الشهوة ومضادتها الهوى ، الذي هو ربيع القلب ، ومراد الروح ، ومربع اللهو ومسرح الأماني ، إلا من وعظه علمه وأرشده قلبه ، وأحكمته تجربته " لذلك كان بلاغة الموعظة في رأينا تتطلب عدة صفات في نفسها وفي قائلها . فالموعظة في نفسها يجب أن تكون معتدلة لا هي مبتسرة ولا هي مطنبة، سهلة اللفظ واضحة المعنى ، بعيدة عن السجع المتكلف أو اللفظ الغريب المتكلف أما قائلها فأهم ما يميزه الصدق والإخلاص ، فكما قيل خير الموعظة ما كانت من قائل مخلص إلى سامع منصف ، وقيل أيضا :الكلمة إذا خرجت من القلب وقعت في القلب

وفيما يلي نماذج من مواعظه (ص) :

1-قال النبي (ص) "حفت الجنة بالمكاره وحفت النار بالشهوات " أي أن الطريق إلى الجنة يتطلب احتمال المكروه في الدنيا والطريق إلى النار يكون بركوب الشهوات .

2-قال النبي (ص) "يكفى أحدكم من الدنيا قدر زاد الراكب" .

3-وقال (ص) "ابن آدم : اغتنم خمسا قبل خمس ، شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل سقمك ، وغناك قبل فقرك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك ".

4-قال (ص) "من أصبح وأمسى آمنا في سربه معافى في بدنه ، عنده قوت يومه كان كمن حيزت له الدنيا بحذافيرها ".

5-يقول ابن آدم مالي مالي ، وهل لك يا بن آدم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت ".

6-وقال (ص) أصدق حكمة قالها شاعر كلمة لبيد "ألا كل شئ ما خلا الله باطل".

.

19- أدب الدعاء في البيان المحمدي

الدعاء عنوان العبودية الخالصة والإيمان الكامل ، وقد كان رسول الله (ص) أقرب الناس عبودية ، وأكملهم إيمانا وأدناهم إلى ربه وأحبهم إليه وأعزهم مكانة لديه ثم هو أفصح الفصحاء ، وأبين الأنبياء وسيد الأنبياء ، فكان دعاؤه أبلغ الدعاء .

دعا رسول الله (ص) فعلمنا أدب الدعاء ، حيث الشفافية والصفاء والصدق والقبول ، فمن يحفظ هذه الأدعية ويرويها يشعر بالقرب من الحضرة الربانية وينال الرضا ويحظى بالغفران .

وقد اختار النبي (ص) لكل موقف ما يناسبه من دعاء ، وهكذا كثرت أدعية النبي (ص) ، وهى من البلاغة بحيث تستحق أن يقف عندها علماء البلاغة والأسلوب ، فنجدها تتميز بوحدة الموضوع وصدق العاطفة وقوة الأسلوب .

وفيما يلي نماذج من أدعيته صلى الله علية وسلم :-

1-"اللهم إنا نسألك موجبات رحمتك ، وعزائم مغفرتك ، والسلامة من كل إثم والغنيمة من كل بر والفوز بالجنة والنجاة من النار".

2-"اللهم اصلح ديني الذي هو عصمة أ مري وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي واصلح لي آخرتي التي فيها ، واجعل الحياة زيادة لي في كل خير ، واجعل الموت راحة لي من كل شر".

3-"اللهم اغفر لي خطيئتي وجهلي وإسرافي في أمري ، وما أنت أعلم به منى ، اللهم اغفر لي جدي وهزلي ، وخطى وعمدي ، وكل ذلك عندي ، اللهم غفر لي ما قدمت وما أخرت وما أسررت وما أعلنت وما أنت أعلم به مني ، أنت المقدم وأنت المؤخر، وأنت على كل شئ قدير ".

4-"اللهم بعلمك الغيب ، وقدرتك على الخلق ، أحيني ما كانت الحياة خير لي ، وتوفني إذا كانت الوفاة خيراً لي ، اللهم إني أسألك خشيتك في الغيب والشهادة ، وكلمة الحق في الغضب والرضا والقصد في الفقر والغني ، وأسألك نعيماً لا ينفذ وقرة عيني لا تنقطع ، وأسألك الرضا بعد القضاء ، وأسألك برد العيش بعد الموت ، وأسألك لذة النظر إلى وجهك ، والشوق إلى لقاءك ، من غير ضراء مضرة ، ولا فتنة مضلة اللهم زينا بزينة الإيمان واجعلنا هداة مهتدين ".

وإذ نكتفي بهذه النماذج الأربعة ، نؤكد أن دعاء النبي (ص) يعد في رأينا نوعا أدبيا راقيا يستحق أن يدرس لطلاب الآداب.

20- الوصية في البيان المحمدي

الوصية أحد فنون النثر في الأدب العربي ، عرفت في الجاهلية والإسلام ، ووصل إلينا منها نماذج متنوعة تعد من البلاغة في الذروة ، ومع ذلك فإنها بالمقارنة بوصايا النبي (ص) تعد أدنى مرتبة لفظاً ومعنى ،

وذلك لأن وصايا النبي (ص) قد تميزت عن قريناتها بأنها تستهدف سعادة الدنيا ونعيم الآخرة، أما على مستوى اللفظ فنجدها بعيدة عن التكلف والغريب من الألفاظ ، تتميز بسلاسة الأسلوب وقوته معا .

والوصية في أبسط تعريف ضرب من القول يتسم بالبلاغة والفصاحة في التعبير ، يتضمن نصائح غالية وتوجيهات سديدة تصدر عادة عن حكيم صاحب تجربة ، أو عاقل صاحب بصيرة ، وهل بعد محمد (ص) حكيم أو عاقل يقارن به ؟!

وسنقف عند نماذج من وصايا النبي (ص) ، والتي كانت تأتى استجابة لطلب صحابي حينا ، وتصدر عن النبي (ص) لأهل بيته حيناً آخر ، أو تصدر عنه لتنظيم أمر ما يخص شئون المسلمين وغيرها من الأسباب والأغراض ، ووصايا النبي (ص) لا تخرج في مضمونها عن تعاليم القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة ، بيد أنها تخرج عبر فن قولي يتسم بالتوجيه والإرشاد لشخص معين ، تعتمد في أسلوبها القوى على صدق العاطفة .

عن معاذ يقول أوصاني رسول الله (ص) بعشر كلمات فقال "لا تشرك بالله شيئا وإن قتلت وحرقت ، ولا تعقن والديك وإن أمراك أن تخرج من أهلك ومالك ، ولا تتركن صلاة مكتوبة متعمداً ، فإن من ترك صلاة مكتوبة متعمداً ، فقد برئت منه ذمة الله ، ولا تشربن خمراً فإنه رأس كل فاحشة وإياك فإن بالمعصية حل سخط الله – عز وجل – وإياك والفرار من الزواحف ، وإن هلك الناس فاثبت ، وإذا أصاب الناس موتان وأنت فيهم فاثبت وأنفق على عيالك من طولك ، ولا ترفع عليهم عصاك ، وأخفهم في الله ".

والمتأمل في هذه الوصية يجدها تشمل في الواقع علي عشر وصايا تتدرج في الأهمية فتبدأ بالتوحيد وعدم الشرك بالله يليها طاعة الوالدين وعدم عقوقهما إلى أن تنتهي بالاهتمام بالأسرة .

ففي هذه الوصية جمع النبي (ص) في توجيهه وإرشاده إلى معاذ بن جبل بين خيري الدنيا والآخرة .

2-من وصايا النبي ما أوصى به أمراء السرايا وجنودها ، فمن ذلك وصيته لعمرو بن العاص حين أخرجه إلى ذات السلاسل : "يا عمرو أنى قد بعثت معك المهاجرين قبلك واستعملتك علي من هو خير منك ، وإذا أذن مؤذنك للصلاة فاسبقهم ، فإذا جهرت بالقراءة فارفع صوتك واسمعهم تكبيرك ، ولا تقصر في الصلاة فتضيع أجرهم ولا تطول فتملهم ، واسمر بهم فإنه أذكى لحراستهم ولا تحدثهم عن ملوك الأعاجم فيتعلموا الغدر ، ورغبهم في الوفاء فإن ذلك الملك أخذ بغير الله ، وعمل فيه بمعصية الله فدمره الله تدميراً " .

3-ولم تقتصر وصايا النبي (ص) على الرجال فقد أوصى النساء أيضا .

قالت أم انس "يا رسول الله أوصني ، فقال (ص)"اهجري المعاصي فإنها افضل الجهاد ، وأكثري من ذكر الله ، فإنك لا تأتين الله بشيء أحب إليه من كثرة ذكره "

21- تذوق الشعر واستنشاده

لم يكن محمدا (ص) شاعرا ، وقد نفى عنه القرآن هذه الصفة عندما اتهمه المشركون بقولهم عند نزول الوحي عليه ، فقالوا "أم يقلون شاعر نتربص به ريب المنون" [الطور :30] بيد أن الذي لا شك فيه ولا مرية هو استماع النبي (ص) للشعر وتذوقه ، ووقوفه بجوار بعض الشعراء يحثهم على قول الشعر ، وقد قال النبي (ص) عندما استمع لعمرو بن الأهتم فأعجب بكلامه : إن من البيان لسحرا ،و قال أيضا في موضع آخر "إن من الشعر لحكمة" .

سمع النبي (ص) عائشة رضى الله عنها وهى تنشد شعر زهير بن جناب :

ارفع ضعيفك لا يحل بك ضعفه   يوما فتدركه عواقب ما جنى يجزيك أو يثنى عليك فإن من
أثنى عليك بما فعلت كمن جزى

فقال النبي (ص) صدق يا عائشة : لا شكر الله من لا يشكر الناس

وسمع النبي (ص) قول سويد بن عامر   من أحد الصحابة :

لا تأمنن وإن أمسيت في حرم   إن المنايا بجنبي كل إنسان
فاسلك طريقك تمشى غير مختشع   حتى تلاقى الذي منى لك المانى
فكل ذي صاحب يوما مفارقه   وكل ذاد وإن أبقيته فان
والخير والشر مقرونان في قرن   بكل ذلك يأتيك الجديدان

فقال (ص) : لو أدرك هذا الإسلام لأسلم .

وعندما قدم النابغة الجعدى على رسول الله (ص) وأنشده شعره الذي يقول فيه :

بلغنا السماء مجدنا وجدودنا   وأنا لنرجوا فوق ذلك مظهرا

قال له النبي (ص) إلى أين يا أبا ليلي ؟ فقال إلى الجنة يا رسول الله بك

فقال له النبي (ص): إلى الجنة إنشاء الله ، فلما بلغ قوله :

ولا خير في حلم إذا لم تكن له   بوادر تحمى صفوه أن يكدرا .
ولا خير في جهل إذا لم يكن له   حليم إذا ما أورد الأمر أصدرا.

قال النبي (ص) لا يفضض الله فاك .

إن الأمثلة لكثيرة جدا على استماع النبي (ص) للشعر وطلب إنشاده من أصحابه ، وقد فصلنا القول عن ذلك في كتابنا "شعراء حول الرسول (ص)، وإنما نقف هنا عند جانب محدود في بلاغة الرسول (ص) ، وهو تذوقه للشعر وإبداء الرأي فيه ، ولا نقول نقد الشعر ، وإنما البلاغة أى بلاغة الرسول - في زعمنا - هي في حسن الاستماع وتقدير ما يلقى إليه من شعر ، يظهر ذلك في رده (ص) قولا أو فعلا ، فنجده (ص) يقبل اعتذار كعب بن زهير ويعطيه بردته الشريفة عندما يستمع إلى قول الشاعر :

إن الرسول لسيف يستضاء به   مهند من سيوف الله مسلول .

ونجده يستمع لقول قتيلة بنت الحارث ، أخت النضر بن الحارث الذي أمر النبي (ص) بقتله ، وعندما تفرغ من شعرها الذي مطلعه :

يا راكباً إن الأثيل مظنة   من صبح خامسة وأنت موفق

قال بن هشام ، قال النبي (ص) لما بلغه هذا الشعر ، لو بلغني قبل قتله ما قتلته

والأمثلة في ذلك كثيرة ، وهى في كل تدل على ذوق عال وحس مرهف ، على أن النبي (ص) لم يكن ليقول الشعر أو ينشده ، بل كان يعمد إلى تغيير كلمة أو كسر الوزن الشعري لما يقول ، أما قوله في حنين:

أنا النبي لا كذب   أنا ابن عبد المطلب

فهو من الرجز والرجز كما يقولون حمارة الشعراء وهو بمنزلة الكلام العامي عند العرب ، يقوله الرجال والنساء الصبيان .

السيرة الذاتية للكاتب د. محمد عبد الحليم غنيم

الاسم كاملا : محمد عبد الحليم محمد غنيم
اسم الشهرة : محمد عبد الحليم غنيم
تاريخ الميلاد ومحله : 1962/10/7 بلبيس - محافظة الشرقية - مصر

المؤهلات الدراسية وتاريخها :

ليسانس آداب –قسم اللغة العربية - مايو 1985م - جامعة الزقازيق
ماجستير في الآداب - مايو 1991 - جامعة الزقازيق
دكتوراه في الآداب - تخصص ادب حديث - جامعة المنصورة 2001

المؤلفات :

لن أقلع عن هذه العادة (مجموعة قصصية) 2002م
شعراء حول الرسول (ص) دراسة ادبية 2003م

دراسات منشورة في كتب مشتركة:

_ شعرية السرد الروائي - دراسة في روايات صلاح والى _ بحوث مؤتمر الشرقية الأدبي 2002
_ عبد الله مهدى وأنموذج القصة القصيرة جدا
_ غنائية القصة القصيرة-قراءة في مجموعة أحلام البنت الحلوة للدكتور حسين على محمد _بحوث مؤتمر ديرب نجم 2002

وقيد النشر :

التاريخ والقص (دراسة في أدب سعد مكاوي)
الفن القصصي عند فاروق خورشيد (الهيئة العامة لقصور الثقافة-سلسلة كتابات نقدية)
حكاية الشاعر المنكود وزوجته النكداء (مجموعة قصصية)

مخطوطات :

ابن أنيسة (رواية قصيرة)
قراءات في الأدب العماني الحديث

بلاغة الرسول (ص)
مسرحيات سعد مكاوي
دراسات وبحوث وقراءات نقدية لم تجمع في كتاب بعد

العنوان البريدي :

عنبر المطاوعة – ههيا –شرقية –مصر

تليفون 055/2566186

بريد إلكتروني mohamedghoneem104@hotmail.com